

جلالة الملك يوجه خطابا في ذكرى عيد الشباب

وجه جلالة الملك خطاباً إلى الشعب المغربي بمناسبة عيد الشباب الذي يخلد الذكرى الخامسة والخمسين لميلاد جلالته، وهذا نصه :

الحمد لله والصلاة والسلام على مولانا رسول الله وآله وصحبه

شعبي العزيز :

ها نحن نحتفل مرة أخرى بعيد الشباب، وبم يمكننا أن نحتفل في عيد الشباب يا ترى ؟ علينا أن نحتفل بمسرات الشباب وبسماته وتطلعاته، وعلينا كذلك أن نحتفل بتفاؤل الشباب، والتفاؤل ليس — بالنسبة لنا كدولة أو كجيل — عاطفة من العواطف أو مدرسة من مدارس العقلانية والفلسفة، التفاؤل هو قبل كل شيء مدرسة للعمل، فتفاؤل مثل تهذب وتدخل وتصاعد، معنى هذا أن هذا الوزن من الفعل يقتضي من كل واحد يريد أن يتصف بهذه الصفات عملا وجهدا وجدا، فالتفاؤل — مرة أخرى — صدفة نلتقي بها في طريقنا، وليس حدثا من أحداث الزمان، بل هو مدرسة تعرف ما تريد وتقصد الهدف الذي تريد، فتفعل ما يجب عليها أن تفعل، وتخلق ما يجب أن يخلق حتى يمكن للمتفائل أن يكون متفائلا حقاً، ويتسنى لكل من أراد أن يتخذ المنهج في عقله وسلوكه وتفكيره طريقة تؤدي به إلى ما يريد، الا وهو إسعاد نفسه وإسعاد ذويه وإسعاد وطنه.

إذا كنا نريد أن نحتفل بعيد الشباب في جو من المرح والفرح والسعادة والابتسام فعلينا أن ننظر إلى التفاؤل بعين الواقع، فالتفاؤل يقتضي منا جميعا أن نرى الأهداف التي نريد أن نصل إليها، ونحلل الوسائل المادية والمعنوية التي توصلنا إلى الأهداف، وأخيراً بعدما نأخذ نكون قد أخذنا بعين الاعتبار هذا وذاك ووضعنا الكل في مقاييس اما مقاييس الخيال، وإما مقاييس المعقول الذي يمكن تطبيقه.

شعبي العزيز، أيها الشباب :

علينا أن نعلم أن المغرب لا يمكنه أن يبقى وهو يريد أن يساير العالم الحر، العالم المتطور، متمسكاً ومتشبثاً بالأحلام والخرافات التي تخالف عاداتنا وتقاليدنا وحتى ديننا، يحكى أن النبي صلى الله عليه وسلم مر يوما بالمسجد، فرأى رجلا يصلي ويتعبد، وتكررت الرؤية عدة مرات، وفي يوم من الأيام سأل واحداً من أصحابه قائلا : وهذا من يعوله ؟ أي من يرزقه ؟ قالوا : أخوه، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : والله ان أخاه لأعبد منه، ويقول الله في القرآن : ﴿وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون﴾، معنى هذا كله أن العضو الطيب المستطاب الحسن المستحسن الجاد الواعي في كل وطن محترم عليه أن يؤدي مهمته كاملة غير ناقصة، وذلك باختيار المهنة التي تليق به بعد أن يكون هو وذووه وأساتذته قد قيموا بالدرس إمكاناته البشرية والفكرية والمسؤوليات الأسروية والفردية التي سوف تكون ملقاة على عاتقه، وما هو في الأخير وفي آخر المطاف الدور الذي يحسن به بل يجب عليه أن يقوم به في بلده ومجتمعه حتى يكون ذلك العضو الصالح الذي يعول ولا يعال... الذي يعبد الله عملا وقلبا ودينا وعقيدة.

ومن هنا ندخل في صلب الموضوع، وموضوعنا ينقسم إلى قسمين : القسم الأول : راجت — شعبي العزيز وشبابي العزيز — هذه الأيام وهذه الأسابيع إشاعات لا أريد أن أصفها هل هي صحيحة مبنية على نية

صحيحة أو على نية غير صحيحة، «نحن في أيام الأفراح والمسرات والتفاؤل» المهم راجت إشاعات وتنوقلت وانتفخت وتبرمت مثل الشر الذي يتبرم على أن الدخول المدرسي سوف يكون دخولاً مبتوراً، وأن الحكومة التي هي حكومة جلالة الملك قررت بين عشية وضحاها وبجرة قلم أن تضحي بعدد غير قليل من الشباب سواء في طور الابتدائي والثانوي والعالي وتغلق أمامهم جميع أبواب العيش، وبالتالي أن تنعدم لديهم كلهم جميع أسباب الأمل، ويمكنني أن أقول وأن ألتزم في هذا اليوم الذي هو عيد الشباب : إن المغرب لم يكن من طبائعه ولن يكون أبدا من طبائعه الاجهاض للامكانات التي يمكن أن يعتمد عليها ويضعها في حساباته ليبني المستقبل، ذلك المستقبل الذي مافتئت أصوره لكم انعته بيدي وبعيني وبجميع جوارحي ذلك المستقبل الذي سيجعل من المغرب أحسن مما كان عليه أيام كانت خريطته شرقاً وغرباً وشمالا وجنوبا، تلك الخريطة التي لم تخطها ولن تخطها عزيمة الاستعمار ولا إرادة الاستيلاء، ولكن تلك الخريطة التي خططتها يد العالي جل علاه حينما أراد أن يقلد هذه الأمة وهذا الشعب مسؤولية نشر كلمة الله ونشر الحضارة الاسلامية والعلم الاسلامي، والثقافة الاسلامية.

إذن هذا المغرب لا يمكنه أن يتنكر لماضيه، ولكن هل يمكنه أن لا يساير العصر ومقتضيات العصر ؟ بلى، يجب عليه أن يحترم هذا وذاك علينا إذا نحن أردنا أن نكون مواطنين كاملي العضوية والمواطنة في القرن المقبل وقبل القرن المقبل في المجتمع المتحضر أن نميز بين ما هو واجب وبين ما هو حرام، الواجب هو أن لا تبقى أية عزيمة ولا تبقى أية موهبة غير مستثمرة، والحرام هو أن نستثمر جميع المواهب على نمط واحد وفي قالب واحد ولهدف واحد، وبعبارة أخرى علينا أن نعلم أن هذا المجتمع إذا كان يحتاج إلى أطباء ومهندسين ومحامين وقضاة ومدرسين وأساتذة وباحثين ومؤرخين ونحاتين وفنانين وشعراء فهو يحتاج أيضا إلى من يعوله ويخدمه، وإلى من يكون له أسس حياته الحالية والاستقبالية.

فهل يمكنك ــ شعبي العزيز وشبابي العزيز ــ أن تقول لي ما هي المهنة وما هو هذا الشغل غير الشريف ؟ ماعدا ما نص عليه القرآن وما تواتر في كتب الأخلاق، وهل هناك شغل غير شريف ؟ هل هناك مهنة تؤدي بصاحبها إلى الحضيض الأسفل ؟ وهل هناك عمل يريق ماء الوجه ويمسخ المغربي الشريف ويرده قرداً من القرود الممسوخة ؟ لا أعرف عملا ولا مهنة من هذا النوع.

فعلينا شعبي العزيز أن نعلم أن على المغرب أن ينظر إلى مشاكله من جميع الجوانب، نريد العملة الصعبة ونريد الشغل للجميع، ولكن من سيضمن لنا هذا النوع. هذا التعليم ؟ وماذا سيضمن لنا هذا التعليم ؟ هو الكسب والعمل الجدي والاشعاع واقتناء الترويج لا ينحصر في الأساتذة ولا في المهندسين ولا في الأطباء، بل هذا الترويج وهذا الاشعاع سوف يكون في صحيفة أولئك الذين سيمثلون المغرب كذلك بسواعدهم وبقدرتهم على حمل الأثقال والعمل في الموانىء والمناجم، لا بل أولئك الذين سيكونون ذلك الجسر فيما بين الأسفل وبين الأعلى، ذلك الجسر من البشر المثقف غير الجاهل العارف بأحكام الله وأحكام الناس المطلع على ما يجري حوله في العالم، المندمج في الوسط العالمي عربيا كان أو اسلاميا أو افريقيا أو آسيويا أو أوروبيا أو أمريكيا، إنه عضو فعال يعرف ما له وما عليه، وينفع بلده سواء في الداخل أو في الخارج.

فلهذا أريد بعد هذه التفاصيل كلها أن أقول : إن المغرب لن يقتصر فقط في هذه السنة على أن يضمن للجميع دخولا مدرسياً أحسن من السنوات الماضية، بل أخذ على نفسه أن يخط خطة جديدة ستنمو كل سنة إن شاء الله، وهي النظر بعين الاعتبار والاحترام اللازم لكل مواطن كيفما كان سنه بأن نجد له مدرسة تلائم

مواهبه وتتفق مع إمكاناته الفكرية وتيسر له عيشة الاحترام والتبادل البشري والأخذ والعطاء بين المجتمعات البشرية.

وحينما كنا نقول التعليم المهني كنا نقوله بنوع من الاستخفاف أو الازدراء، كأن آباءنا لم يخدموا أبداً بأيديهم، وكأن هؤلاء المتخرجين من المدارس العليا ومن الجامعات كان آباؤهم كلهم أغنياء وأثرياء، وكأن هذا الدكتور أو هذا الأستاذ الذي يركب سيارة «مرسديس» وله فيلا بأنفا مثلا — مادمنا بالدار البيضاء — كأنه حينما ولد وجد هذه السيارة تنتظره ووجد تلك الفيلا، والحالة أن الجل يعلم أن آباءهم وجل آبائهم أمكنهم تحقيق كل ذلك بعرق جبينهم وبخدمتهم اليدوية وتكوينهم المهني الذي ألزم الجميع أن يحترمهم، ذلك التكوين الذي مكنهم من أن يروا في أبنائهم ما كانوا يتمنوه لأنفسهم، إذن لماذا نترفع ونتعالى وننظر بعين الازدراء والاحتقار إلى ما عليه سواد الدول كلها، ألا وهو الطبقة العاملة، تلك الطبقة المحترمة الشريفة، هذه الطبقة العاملة إذا كان هناك عضو من الأسرة الكبيرة المغربية يعرف قيمتها ويعرف كيف يشرفها وكيف يكرمها فهو خديمكم هذا، الطبقة العاملة حضرية كانت أو بدوية هي التي قامت بالكفاح وبالكفاحات في الماضي وبالكفاح الأخير، الطبقة الكادحة هي التي قالت : لا استقلال بدون رجوع رمز البلاد، الطبقة الكادحة من فلاحين ومن عمال هي التي ارهبت الاستعمار، وهي التي حررت المغرب وبالتالي حررت افريقيا، فأريد أن تبقى هذه الطبقة العاملة لاصقة بالحقيقة المغربية وبواقع المغرب، ولكن في إطار آخر وبمعلومات أخرى، بمواهب تمكنها أن لا تبقى منحصرة في الرقعة الجغرافية المغربية، وأن لا تبقى مجيبة فقط إلى حاجيات المغرب، بل أن تكون كما قلت لكم مكرمة محترمة أينما ذهبت وحلت وارتحلت، وأينما عملت واشتغلت، طبقة قادرة على أن تخلق بنفسها ثروتها، طبقة جديرة أن تكون مواطنة للجميع كله في أواخر هذا القرن وفي القرن المقبل، لذا شعبي العزيز يقول المثل الفرنسي «ليس هناك شغل سخيف ولكن هناك أناس سخفاء» وأقول ليس هناك عمل قذر أو منحط، ولكن هناك أناس قذرون ومنحطون.

فلهذا قررنا أن نشرف ونكرم العمل ونرد له قيمته وحرمته المفقودة، وأن ننظر شيئاً ما إلى الوراء، إلى آبائنا وأجدادنا، فأجدادي مثلا قبل أن يعتلوا هذا العرش عاشوا في هذا البلد أربعة قرون في تافيلالت، فبماذا كانوا يعيشون ؟ كانوا يعيشون بنخلهم وفصتهم وبشيء من الجمال وبشيء من الغنم، وكانوا يعملون بيدهم يعني بكيفية شريفة، وجاهدوا في اسبانيا حينما نودوا إلى الجهاد، وهل معنى هذا أن جميع أعضاء الأسرة من يوم اعتلت على عرش المغرب إلى يومنا هذا لم يشتغلوا ولم يخدموا بأيديهم ولم يتعاطوا أي مهنة ؟ وكانوا دائماً ينتظرون أن تمطر عليهم السماء ذهباً وفضة ؟ لا، لم يكن هذا في آبائنا ولا في آبائك ولا في أجدادنا ولا في أجدادك، كرمنا العمل فسنبقى نكرم العمل، وشرفنا العمل فسنبقى نشرف العمل، ولكن حتى يكون هذا العمل مشرفاً مكرماً علينا أن نضع له أطراً ومدارس وتشكيلات ونماذج تجعله ليس عملا مكرماً مشرفاً أخلاقياً ومعنويا فحسب، بل عملا كالعملة الصعبة التي تروج في جميع الدول، عملا مكرماً مشرفاً في جميع المستويات وفي جميع الدول.

أظن شعبي العزيز أن ما قلته يكفي فيما يخصني ويخص دوري، وستأتي ندوات وتفسيرات وتحليلات تعبر لك تطبيقياً بجميع التفاصيل اللازمة عما نريده وما نطمئن إليه لاختياراتك في المستقبل، وما نأمله لك من الراحة والنتائج ومن العمل حتى يكون ضميرك في مستوى طموحك، وحتى يكون المغرب كما قلت لكم دائماً ليس صالحاً لنفسه فقط، بل صالحاً لكل المجتمعات البشرية، طيب، ولنفرض أن هذا كله تحقق وما ذلك على الله بعزيز، ولنفرض اننا وجدنا المناهج والطرق لتشغيل من يريد أن يشتغل بالتكوين المهني لكل من يريد

أن يكون مهنيا أن نفتح الآفاق لكل من أراد أن يكون جامعياً، لنفرض اننا وصلنا إلى هذه الأهداف كلها ماذا يا ترى ستكون حياتنا غدا وبعد غد ؟ لنفرض اننا تغلبنا على مجمل أو أكثر ما يمكن من المشاكل المادية كيف ستكون حياتنا الاجتماعية ؟ وكيف ستنظم تعايشنا اليومي كأفراد وجماعات ودولة وإدارة وقضاء ووظيفة عامة ومجتمع حر اختار حريته في المعاملات ؟ سوف يكون هذا المناخ ما نريد أن يكون.

النقطة الثانية من خطابي، في هذه السنة شعبي العزيز سندخل مرحلة أخرى، مرحلة الست سنوات الديمقراطية الجديدة، وستكون هذه المرحلة حاسمة وخطيرة بالنسبة لتنظيم مجتمعنا وبالنسبة لننقش منهجنا ومنهجيتنا على الحجر وليس على الماء ولا على التراب، حتى تبقى بعون الله وقوته ماثلة دائماً بين أعيننا كالمحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك، لأن في هذه الست سنوات من كان شاباً سيصبح رجلا ومن كان كهلا سيطل لا على الشيخوخة أبدا ولكن على ما بعد الكهولة، وست سنوات ليست بالشيء الهين، ست سنوات من الممارسة المباشرة وغير المباشرة للأعمال الجماعية ومن المشاركة في التسيير والاختبارات الكبرى اما على المستوى العالمي واما على المستوى الجهوي أو القاري أو الوطني، ست سنوات ليست سهلة ولا عديمة الانعكاسات، سيمكنها أن تكون الست سنوات التي تمثل تلك البقرات العجاف، أو أن تكون الست سنوات التي تنبىء بتلك السنابل المليئة بالحب، في كل سنبلة مائة حبة «والله يضاعف لمن يشاء».

فلهذا علينا شعبي العزيز — مديرين كنا أو مدارين — في جميع المستويات في سلم المسؤوليات، علينا أن نفكر من الآن في الذي سيقع يوم 14 شتنبر من السنة.

يوم 14 شتنبر ستكون الانتخابات العامة، وبذلك سوف تكون حلقات المسلسل الدستوري الديمقراطي شد بعضها بعضاً، وكونت خاتماً وإطاراً للحياة اليومية والحياة القرنية، علينا أن نفكر فيه من الآن حتى لا نصبح في أيام الحملات الانتخابية مرتجلين أو دجالين أو كذابين أو نصابين أو من تلاميذ ذلك الشاعر الذي يقول في مدرسته : «إذا مت ظمآناً فلا نزل القطر».

فكل من أراد أن يخوض معركة سياسية عليه أن يعلم أن الكذب حرام، والكذب حرام بكيفية عامة، وحرام حينما يمكن أن تعم نتائجه وطناً كله وشعبا كله.

حاولنا ما أمكن أن نهيء للانتخابات المقبلة جواً من التساكن بين الأحزاب السياسية، وحاولنا أن نجمعها حاولنا لترى المشاكل ولتبحث في أعماق الملفات وتفاصيلها، وحاولنا جهد المستطاع أن نشركها في جميع اختياراتنا وقراراتنا، وعلينا انصافاً لها منذ أن عملت بجانبنا بوزرائها ووزراء الدولة أن نقول هنا : «إن هذه الهيآت السياسية عملت بوطنية ونزاهة وإخلاص في كل ميدان مبرهنة عن صدق وطنيتها، ولكن المغاربة لهم طباع وأخلاق خاصة، وأريد أن تبقى فيهم هذه الأخلاق، وأتمنى أن تبقى فيهم، ولقد طلب مني واحد من وزراء الدولة أن أعطيه حريته، لأنه كما قال لا يمكنه أن يخوض المعركة الانتخابية وربما يستعمل في خطبه كلمات نابية وهو جالس بجانب أصدقائه على منصة المسؤولية، ولي اليقين أن هذا الشعور هو شعور وزراء الدولة، لأن المغاربة أعطاهم الله أخلاقاً غير الأخلاق السياسية الموجودة في غير هذا البلد.

ولذا حتى لا نحرج أحداً وحتى نجعل كل أحد يحس بالحرية الكافية في لباسه وفي جلبابه قررنا حينما يأتي الوقت قبل الانتخابات أن نحرر وزراء الدولة كلهم من مهامهم السياسية على شرط أن لا ننسى سبب دخولهم للحكومة، وهو أن يتتبعوا داخل الحكومة سير الانتخابات ونزاهتها، على شرط أن يتركوا من يمثلهم

في الحكومة حتى يتمكنوا بواسطة هؤلاء من مراقبة سير تلك الانتخابات، كما أردنا وقررنا دون أن يكون أي وزير للدولة محرجاً وملزماً بأن يتعايش مع فلان وفلان في الصباح ويذهب في المساء لالقاء خطاب أو كلمة أيام المعركة الانتخابية، وعمل كهذا سيمكن الجميع من أن يتتبع السير وأن يحترم الأخلاق والفضيلة المغربية التي هي كذلك مبنية على الأخلاق العربية الاسلامية الأصيلة.

لهذا شعبي العزيز منعطف هذه السنة واختياراتها سيكون تقريراً خطيرا، وأقول لك بكل صراحة ومادمت تمنحني ثقتك، انني سأنكب أكثر من ذي قبل على شيئين: أولا أن تعطيك دولتك وبلدك ووطنك ما يجب أن تعطيك إياه لا فقط من حقوق فكرية وسياسية، بل من حقوق مادية تؤهلك لكي تعيش شريفاً كريماً مواطناً مغربياً، لا يمكنني أن أعطيك أكثر، فالذي لم يعطه الله القراءة والفتح سنعطيه عملا يسترزق منه.

وثانيا انني لن أغفر أبداً باسمك في المدة التي هي من اليوم وحتى يوم الانتخابات لكل من حاول أن يضللك أو يكذب عليك متعمدا، قال النبي صلى الله عليه وسلم : «من كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار».

ولجماعة 20 مليون المسلمين أقول : لن أسمح لأي أحد أراد أن يضللك أو يكذب عليك متعمداً، لأنه من واجباتي الدستورية ضمان الحريات للأفراد والجماعات والسهر على حقوقهم وعلى وحدة البلاد وسيادتها ووحدتها الترابية.

ومن حقوق الجماعات والأفراد أن نبعد عنها «بأية كيفية كانت» المضللين والمشعوذين، وبالأخص الذين يعملون ويعرفون الأرقام، وهذا ليس تهديدا، فالحملة الانتخابية بدأت، هذا هو نداء من مغربي إلى المغاربة حتى يمكننا أن نمر بهذا المنعطف الذي هو المنعطف الاجتماعي لاختيار المناخ الذي نريد أن نعيش فيه، إنه منعطف لصنع المغرب، وبعون الله وبحفظه ورعايته سيكلل عملنا بالنجاح، لا أقول للقرن المقبل، لا، بل للسنة المقبلة، سنعمل لننطلق من هذه السنة للسنوات المقبلة، وانطلاقتنا سوف تكون مستهدفة السنة المقبلة والسنوات التي تليها، حتى نوجد بعون الله وتوفيقه المغربي الذي نريده، وكما تستلزمه الظروف والحاجيات المغربية.

وبما أننا في عيد الشباب — شعبي العزيز — أريد بهذه المناسبة — وأنا رياضي كما أنت رياضي — أن أهنىء إقليم العيون في صحرائنا العزيزة حيث أن فريقه لكرة القدم قد خرج من القسم الوطني الثاني إلى القسم الوطني الأول، وهذا ما سيؤهله إن هو فاز في البطولة مثلا في السنة المقبلة أن يمثل المغرب في جميع الدول البطلة كانت بجانبنا أو بغير جانبنا، وهذا يدل على أن العمل الجاد المجدي قد أعطى لصحرائنا الأمن والأمان، وأعطاها التوسع والرخاء، وأعطاها حملة الباكالوريا، واليوم ها هو يعطيها فريقاً في كرة القدم، ومن كان يظن أن هذا الفريق سيلتحق بالقسم الوطني الأول ؟ وأقدم لهذا الفريق تهنئتي وأقول له : انني قررت نظراً للمسافات البعيدة أن تضع القوات المسلحة الملكية طائرة رهن إشارة جميع الفرق التي تعتزم زيارة العيون في المقابلات، وكذلك أمام فريق العيون لينتقل إلى أقاليم أخرى حسب البرنامج الذي ستقرره عصبة كرة القدم، وسوف تكون هذه المباريات الرياضية رابطة أخرى، رابطة الشباب بالشباب رابطة الفرق رابطة شعبية حقيقة أصيلة، فليفرح من يريد أن يفرح، وليقرح من يريد أن يقرح، فالله سبحانه وتعالى أعطانا وسوف يعطينا، ولايزال يعطينا، وسوف نبقى نلح عليه، لأن النبي صلى الله عليه وسلم يقول في حديثه الشريف «إن الله يحب العبد الملحاح».

وما دمنا في ذكر الصحراء فلننوه مرة أخرى بوحداتنا العسكرية الموجودة هناك، من قوات مسلحة ملكية، ودرك ملكي، وقوات احتياطية، وشرطة وسكان، لأن السكان هم الأساس، لنقول لهم إنكم كنتم في المستوى،



فادعوا لنا الله أن نبقى نحن كذلك في المستوى حتى نسير سواء في الطريق الذي لا أرى فيه غماما ولا حجرا ولا أذى، وحتى لو وجد لأماطه الله سبحانه وتعالى عن طريقنا، لأنه ما عودنا إلا الخير، وهو سبحانه وتعالى مجيب الدعاء، والسلام عليكم ورحمة الله.

الأحد 9 شوال 1404 — 8 يوليوز 1984